

من تاريخ اللغة العربية (*)

الفصل الثاني العربية وظهور الاسلام

د. مسعود بوبو

أولا : الكتابة والتدوين :

يمثل ظهور الاسلام انعطافا تاريخيا كبيرا في حياة العرب والبشرية ، وانتقالا حضاريا واجتماعيا له اثار خالدة في التاريخ تتجلى في نهجه الاصيل الرامي الى تنظيم حياة الانسان وتحقيق الامن والمساواة والعدل في المجتمع البشري ، ومؤلفة القلوب حول عقيدة التوحيد التي ترسم للحياة منهجا جديدا مغايرا لما عرفه العرب من قبل ، منهجا يحتاج الى لغة جديدة تستوعب هذا الدين السماوي ، وتعبر عن قيمه وتصوغ فكره ، وتفي بحاجات تعاليمه وتشريعاته .. فكيف طور الاسلام هذه اللغة وارتقى بها منذ بزوغ فجره : في الكتابة والتدوين وتصنيف الكتب واشاعة المكتبات ، وفي المصطلح والتعريب والترجمة ؟ وكيف افاد من غناها وقدراتها في الاشتقاق والتوليد والمجاز والوضع والنقل والارتجال والابداع .. وما الى ذلك من مظاهر الثروة اللفظية والتنمية اللغوية .. ثم وظفها لصالح العقيدة والفكر والعلوم النقلية والعقلية؟.

لكي تتبع هذه الخطوط العريضة بالتدرج ، قد يكون من الموافق والمنطقي أن نبدا بالكتابة والتدوين .

ومن المعروف أن الكتابة - بمعنى اثبات اللغة برموز من الحروف يتفق عليها - كانت ظاهرة معروفة في تاريخ اللغة العربية قبل الاسلام ، واستمرارها يعدان امتدادا متناميا في هذا السبيل ، على نحو يصعب معه الفصل بين صورة هذه العملية في العصر الجاهلي ، وصورتها في الاسلام ، على غرار تقسيم عصور الادب مثلا . ولذا سنحاول أن نقف على نشأة الكتابة ملتجئين الادلة على وجودها في جانبين أساسيين هما :

أ - النقوش المتأخرة التي عثر عليها في مناطق بلاد الشام ، كما في أم الجمال ،

* نشرت الحلقة الاولى من هذه الدراسات في العدد ٢٤/٢٣ (١٩٨٩) ، والثانية في العدد ٢٨/٢٧ (١٩٩٠) ، والثالثة في العدد ٤٨/٢٧ (١٩٩٣) ، والرابعة في العددين ٥٠/٤٩ (١٩٩٤) .

دراسات تاريخية ، العددان ٥١ / ٥٢ ، كانون الثاني - نيسان ١٩٩٥

وخربة زبد ، وحران ، والنمارة .. وما ذكر عن نقوش كنائس الحيرة وبيعها . تلك التي كانت معروفة في عهد المناذرة وفيها أخبار العرب (انسابهم (١) ، وما يشبه ذلك مما ذكر سابقا .

ب - الاخبار الكثيرة التي تناقلتها كتب اللغة والتاريخ عن معرفة العرب بالكتابة منذ العصر الجاهلي ، ولا سيما في حواضرهم آنذاك ، كمكة والمدينة ، وفي الشمال الشرقي والغربي من جزيرتهم ، وفي جنوبها باليمن .

أما النقوش فقد أثبتت الابحاث المبنية عليها والمستخلصة منها ان الكتابة عند العرب قد عرفت ومورست في شمال الجزيرة العربية متطورة من الخط النبطي ، وذلك منذ بداية القرن الرابع الميلادي . وبلغت درجة مقبولة من الكمال والوضوح في القرن السادس للميلاد كما ترجح المصادر الكثيرة المعنية بهذا الموضوع .

وأما فيما يتعلق بالاخبار المتواترة فيمكن القول ان كثرتها تجمع على فكرة معرفة العرب الكتابة منذ الجاهلية . من ذلك ما ذكر عن صحيفة المتلمس من عمرو بن هند ، ملك الحيرة ، الى أمير البحرين ، أو عامله هناك (٢) ، وربط مقتل طرفة بن العبد (ابن أخت المتلمس) بتلك الصحيفة التي حمل كل منهما ما يمكن أن يسمى نسخة أو صورة عنها ، في خبر معروف تتناقله كتب التراث وما ذكر عن معرفة أكثم بن صيفي - حكيم قبيلة تميم في الجاهلية - بفن الكتابة . وما ذكر من أن لقيط بن يعمر الإيادي كان كاتباً في ديوان كسرى ، يكتب بالعربية والفارسية ، وأرسل الى قومه يحذرهم من كسرى فقال :

هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى رايه منكم ومن سمعاً (٣)

وقال لهم ايضاً :

سلام في الصحيفة من لقيط الى من بالجزيرة من إباد

فان الليث كسرى قد اتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد (٤)

وذكر أن النابغة الذبياني كتب قصائد اعتذار بعث بها الى الملك النعمان بن المنذر ، وأنه كان في الجاهلية معلوم يكتبون ، مثل عمرو بن زرارة ، وغيلان بن سلمة بن معتب الذي جاء بعده في الطائف يوسف بن الحكم الثقفي . ومن ذلك ما ذكر عن معرفة بعض الشعراء الجاهليين بهذا الفن ، كالمرقش الأكبر ، وسلامة بن جندل ، وعدي بن

زيد العبادي(٤) . . فضلا عن كتابة العهود والمواثيق والاحلاف وكتب الخلع والرقيق والديون وتخليد ذكر وفاة او انتصار .

ولعل مما يعزز صدق هذه الاخبار ويرجح صحتها ما ورد ذكره من الفاظ تتصل بالكتابة وأدواتها في اشعار الشعراء الجاهليين ، كقول الحارث بن حلزة :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينقص ما في المهارق الاهواء (٤)

قال ذلك لما اختلف بنو بكر وبنو تغلب ، ثم اصطالحا عند عمرو بن هند وكتبوا بينهم عهدا . والمهاريق (في البيت) : جمع « مهرق » وهو نسيج حريري كان يصقل ثم يستخدم في الكتابة ، والكلمة بالفارسية « من كرد » اي الصقل ، ومنها جاء تعبير « مهرة بتوقيعه » . ولعل مما يؤكد فارسية الكلمة قول ابن حلزة نفسه :

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس (٥)؟

وفي هذا اشارة صريحة الى ان العرب عرفوا « المهارق » من الفرس في وقت مبكر ، كما عرفوا أدوات الكتابة « القرطاس » ، ويبدو أنهم أخذوه عن الروم (٦) ، فقد نسبته طرفة بن العبد في شعره الى بلاد الشام حينما قال يصف ناقته :

وخذ كقرطاس الشامى ومشفر كسبت اليماني قده لم يجرد(٧)

والقرطاس : الصحيفة يكتب فيها ، والسبت : الجلد المدبوغ المعالج بالقرظ لاستخدامه في الكتابة (٨) ، والاحتذاء . والظاهر أن اهل اليمن كانوا مهرة في اعداد الادم ، حاذقين في صناعة أدوات الكتابة الاخرى كالعسيب الذي ذكر في شعر امرئ القيس ، في قوله :

لمن طلل ابصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان(٩)

والعسيب : جريدة النخل المستقيمة يكشط خوصها بحيث تصبح سالحة للكتابة ، وقوله : كخط زبور : أي كخط الكتاب المزبور ، ومن ذلك أخذ معنى القلم عندهم حين سموه المزبر (بالزاي وبالدال) ، وكذا زبور داود عليه السلام ، أي صحفه . وعليه قول عمرو بن احمر :

ام لا تزال ترجي عيشة انفاً لم ترج قبل ولم تكتب بها زبر (١٠)
وعرف هذا ايضا في شعر أبي ذؤيب الهذلي حيث قال :

عرفت الديار كرقم الدوا ة يزبرها الكاتب الحميري (١١)
اي يكتبها ، والرقم هنا : الكتابة ، ومنه « المرقم » اي القلم .

وقال امرؤ القيس وذكر الزبور ايضا :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ ازمان
انت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان (١٢)

وتجدر الإشارة هنا الى أنه ذكر المصاحف ، أي الكتب المجموعة في صحف .
وذلك مما يتصل بالكتابة ويدل عليها .

وممن ذكروا الزبر والقلم من شعراء الجاهلية لبید بن ربیعة العامري ، قال :

| | |
|--------------------------|------------------------------|
| درس المنا بمتالع فابان | وتقادت بالحس فالسويان |
| فنعاف صارة فالقنان كأنها | زبر يرحمها وليد يمان |
| متعود فطن يعيد بكفه | قلماً على عيب ذبلن وبان (١٣) |

والمنا هنا : المنازل ، حذف منها مقطعا صوتيا (زل) ، ويسمى هذا الاختصار
أو القطع : « القطعة » كما مر في اللهجات قبلا . والحس والسويان ونعاف صارة
والقنان : أماكن .

والزبر عنده : الكتب أو الصحف .

وقال لبید ايضا :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها اقلامها (١٤)

أي كان الاقلام الشبيهة بالسيول تجدد وجه الأرض .. ويروى : تخذ ، من
الاخدود ، وهو الشق الطويل في الأرض .

وقال المرار بن منقذ من ذلك :

وترى منها رسوماً قد عفت مثل خط اللام في وحي الزبر (١٥)

والمقصود بالوحي هنا : نقش الكتاب ، والزبر : جمع زبور . ولا معدى هنا عن الوقوف عند كلمة « الزبر » وقفة قصيرة ، ولا سيما عند ذكر زبور داود ، ومصاحف الرهبان ، لنذكر بأن العرب اخذوا الكتابة أو الخط - على ما يرى بعض المؤرخين - عن « النصرى واليهود ، لانهم كانوا اصحاب كتب ، ولم يكن للعرب كتاب .. » ، وعليه قول أبي حية النميري :

كما خطَّ الكتاب بكف - يوماً - يهودي يقارب أو يزيل (١٦)

وتقرن هذا القول مع قول الشماخ بن ضرار :

اتعرف رسماً دارساً قد تغيرا بذروة أقوى بعد ليلى واقفرا
كما اختط عبرانية يمينه بتيماء حبر ثم عرض أسطرا (١٧)

واذا لم يكن للعرب كتاب - كما قيد البطليوسي - فانهم كانوا يعرفونه ، أو كان تسمية مألوفة عندهم ، والا لما ذكر في أشعارهم كما في قول بشر بن أبي خازم :

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار (١٨)

ويروى : قرانا ، في مكان « وجدنا » ، والمعار : السمين أو المسمن .

وقد يكون الكتاب في تصورهم بمعنى الكتابة ، أو الكلام المكتوب ، كما في قول حاتم الطائي :

اتعرف اطلالا ونؤيا مهديا كخطك في رق كتاباً منمنماً (١٩)

ويقوي هذا التصور وصفهم لآثار الديار والمنازل الخاويات تتعاورها الرياح راسمة عليها خطوطاً وتشكيلات على نحو ما تخلقه الكتابة المتقنة ، من شواهد ذلك قول مالك بن جعفر بن كلاب :

فان لها منازل خاويات على نملى وقفت بها الركابا
من الاجزاء اسفل من نميل كما رجعت بالقلم الكتابا
كتاب محبر هاج بصير ينمقه وحاذر أن يعابا (٢٠)

والترجيع هنا : الثاني في الكتابة كفعل الواشمة أو المخضبة . والمحبر : المكتوب كتابة حسنة ، من التحبير الذي يعني التزيين ، لا من الحبر ، كما قد يتبادر الى الذهن . والهاجي : مفصل حروف الهجاء ، والهجاء هنا : تقطيع اللفظ بحروفه . وينمقه :

يحسنه أيضا في الكتابة ، والظاهر ان الفعل « ينمقه » مشتق من لفظة فارسية الاصل هي « نامة » أي الكتاب .

ومن الفاظ الكتابة أو أدواتها التي تتردد في اشعار الجاهليين : المجلة ، والصحيفة ، والقلم ، فقد ذكر المجلة الشاعر النابغة الذبياني في قوله :

مجلتهم ذات الإله ودينهم قويم به يرجون خير العواقب (٢١)

والمجلة : صحيفة كانوا يكتبون بها الحكمة . وذكرت الصحيفة مقرونة باسم الشاعر المتلمس الضبي ، كما ذكرها ثعلبة بن عمرو السعدي في قوله :

لمن دمن كأنهن صحائف ففار خلا منها الكتيب فواحف
أكب عليها كاتب بدواته يقيم يديه تارة ويخالف (٢٢)

أي يسوي سطوره مرة ويخالف أخرى ، يجيء بها على غير استواء . وأراد بالصحائف هنا ما فيها من النقش والكتابة ، وجاء في بعض الكتب والمعاجم ان الصحيفة : الكتاب ..

وممن ذكروا « القلم » الشاعر لبید في بيته السابق : « وجلا السيول .. البيت » . والمرقش الأكبر في قوله :

الدار قفر والرسوم كما رقرش في ظهر الأديم قلم (٢٣)

وأمية بن أبي الصلت في قوله :

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والقلم والقلم (٢٤)

والقلم عند المحدثين معرب عن اليونانية ، عن لفظ Kalamous ، ويسمى بالعربية اليراع ، والاسمر (٢٥) .

ونضيف الى هذه الالفاظ والمسميات ما جاء من الفاظ تتصل بعملية الكتابة ، أو بفن الخط ، كقولهم : الكتاب المنمق ، أو المرقش (كما في بيت المرقش الأكبر أعلاه) وكقول طرفة بن العبد :

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه
كسطور الرق رقرشه بالضحى مرقش يشمه (٢٦)

والرق : الجلد الرقيق المستخدم في الكتابة . ويشمه : ينقشه ويزينه كالوشم في المعصم أو يנקطه . والمرقس من الرقس ، أي الاستعانة بالتزويق والزخرفة للتحسين في الخط وتقويمه ، أو للتسطير في الصحف . ومنه : ترقشت المرأة إذا تزينت .

وجمع الأخنس شهاب - الى جانب الترقيش - ثلاثة الفاظ تتصل بفن الكتابة حين قال :

لابنة حطان بن عوفٍ منازل كما رقس العنوان في الرق كاتب (٢٧)

فذكر الرق ، والكاتب والعنوان . والرق مما سلفت الاشارة اليه في بيت طرفة بن العبد : « كسطور الرق رقصه .. البيت » .

وفي اختصار وإجمال يمكن القول ان الترقيش ، والتنميق (٢٨) والتزيين والتجبير والتقطيع .. والزخرفة - فيما بعد - مظاهر تطوّر ومحاولات اتقان واجادة لفن الكتابة ..

والذي يعنينا هنا ان هذه المظاهر والمسميات لا بد ان تنهض ادلة كافية على معرفة العرب بالكتابة ، لأنها لم تأت من فراغ ، ولم تبد غريبة أو هجينة في العربية ، مع ما انطوت عليه من الفاظ دخلية من لغات مجاورة ، كالقرطاس والمهراق والقلم والتنميق .. أما السورق ، والصحيفة ، والرقم ، والزبور ، والمجلة ، والسطر ، والكتاب ، والهجاء ، والوحي ، والخط ، والرق ، والقط ، والعسيب والدواة (٢٩) .. فالفاظ عربية أصيلة . وكان معظمها أدوات بدائية ومحلية للكتابة ، أضافوا إليها عند الحاجة آدم (الجلود المدبوجة) والصفاح (٣٠) ، وعظام الاكتاف ، والرخاف (٣١) ، والاقتاب (٣٢) ، والاضلاع ، والخزف ، والقماش .. وأمثال ذلك من الأدوات التي ظلوا يستخدمونها حتى القرن الاول الهجري . وفي هذا الصدد يقول الدكتور ناصر الدين الأسد :

« كان العرب .. يكتبون في جاهليتهم ثلاثة قرون على أقل تقدير بهذا الخط الذي عرفه بعد ذلك المسلمون ، وقد أصبحت معرفة الجاهلية بالكتابة معرفة قديمة أمراً يقيناً يقرره البحث العلمي القائم على الدليل المادي المحسوس ، وكل حديث غير هذا لا يستند إلا الى الحدس والافتراض » (٣٣) .

تلك هي المرحلة الاولى من الكتابة والتقييد .

- اما التدوين فيعد استمرارا للكتابة وتنمية وتطويرا لها ، وبداية أو منطلقا لتسجيل نتائج العقل والوجدان .

ويرجع الفضل في التدوين الى الحافظ الديني الذي كان معقداً نشاط علماء الاسلام وواحداً من أعمالهم الجليلة لتثبيت لغة العقيدة ودراستها ، وتسجيل حقائق التاريخ وتأصيلها بنياناً أساسياً لنهضة لغوية واسعة لم يكن من معدى عنها ، ولا سبيل الى بناء الحضارة الاسلامية الفكرية بغيرها .

والحقائق والأدلة المتصلة بالكتابة والتدوين في التراث والعصر الاسلاميين كثيرة وموثقة باسنادها الى كتاب الله العزيز ، أرفع المصادر وأعلاها حجة ومنزلة ، القرآن الكريم نزل منجماً ، ودون في البداية مفرداً ، بأيدي كتاب الوحي ، وفي طليعتهم : زيد بن ثابت ، وعلي بن أبي طالب ، ومعاذ بن جبل ، وطلحة بن الزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وحذيفة بن اليمان ، وعثمان بن عفان ، وأبي بن كعب ، ومعاوية بن أبي سفيان ..

وعلى أيدي نفر من هؤلاء وغيرهم تمت عملية تدوين القرآن كاملة ، وهي أضخم عملية تدوين وأدقها في الصدر الاول للاسلام . والى جانب هذا يذكر أنه عند مجيء الاسلام كان في مكة سبعة عشر كاتباً ، وفي المدينة أحد عشر كاتباً ، وأنه لما حصر القرشيون المشركون محمداً رسول الله وآله في شعب أبي طالب ، بعد اسلام عمر بقليل كتبوا بينهم صحيفة وعلقوها في الكعبة ، وتقضي بمقاطعة بني هاشم .. ويذكر عن صحيفة سويد بن الصامت التي كان يحملها وفيها حكمة لقمان ، والتي يقال أنه ذهب بها الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقراها عليه فقال له الرسول : « ان هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل منه : قرآن أنزله الله تعالى علي ، هو نور وهدي » (٢٤) .. ويذكر بعد عسكر معاوية بن أبي سفيان رفعوا في وقعة « صفين » من المصاحف ما يقرب من خمس مئة كما يروى .. الى جانب كل ذلك نذكر كتابة المعاهدات والرسائل ، كالمعاهدة التي أمر النبي (ص) بكتابتها إثر هجرته الى المدينة لتنظيم العلاقات بين المهاجرين والانصار واليهود (٢٥) . وكالرسائل التي بعث بها الى القبائل في أمور العقيدة ، أو تقسيم الغنائم ، أو الأمان .. وكتب صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن : « من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم ، له ذمة الله وذمة رسول الله (ص) ، ومن أبى فعلية الجزية (٢٦) .. كما كتب (ص) الى ذرعة بن ذي يزن (٢٧) ، وللوك حمير (٢٨) ، ولايكر صاحب دومة الجندل (٢٩) ، ولأهل هجر (٤٠) ، ووفد ثقيف (٤١) . ووجه العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي الى البحرين فصالحوه وكتب بينه وبينهم كتاباً (٤٢) .. فضلاً عن رسائله الى ملوك الدول المجاورة للعرب ، كالنذر بن ساوى ، والنجاشي ملك الحبشة ، والمقوقس عظيم مصر .

ونقرأ - الى جانب هذه الأخبار - من أي الذكر الحكيم قوله تعالى : (والطور ،

وكتاب مسطور ، في رق منشور (٤٣) و (نون والقلم وما يسطرون) (٤٤) و (اقرأ باسم ربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) (٤٥) ، كما نقرأ في سورة (القرآن) أنه لما سأل الجاهليون النبي عليه السلام معجزات خارقة نزل الوحي بالرد عليهم ، ومما جاء في ذلك قوله تعالى : (ولن تؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل : سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) (٤٦) . . بل ان القرآن الكريم حض الناس على ضرورة الاستعانة بالكتابة في بعض المعاملات كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ، الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله) (٤٧) .

ولكن ، مع الاقرار بوجود هذه الادلة كلها على شيوع الكتابة في العصرين الجاهلي والاسلامي ، تبقى هناك قضية أساسية لا يمكن اغفالها ، وهي أن الكتابة كانت تقتصر في الغالب على مراكز التحضر وال عمران ، وكانت محدودة ووفقاً على الشؤون الخاصة جدا في حياة العرب ، ولم تستثمر أو تسخر للتدوين بمعناه الواسع حتى القرن الاول الهجري ومن الشواهد على هذا الامر قوله تعالى : (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة) (٤٨) . فالكتاب لم يكن مهياً في كل حين ، ولم يجاف ابن سلام الحقيقة حين أشار الى أن الشعر - ديوان العرب - لم يكن مدوناً ، ومن هنا قال على العلماء : « فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب » .

ولا ريب في أن اول ما اتجه العرب الى تدوينه القرآن الكريم ، وخاصة بعد أن استشهد باليمامة وحدها في حروب « الردة » نحو سبع مئة رجل من حفظته زمن الخليفة أبي بكر الصديق ، مما حدا بالخليفة عمر بن الخطاب الى مفاتحة أبي بكر بأمر تدوين القرآن بعد أن قد دَوّن مفرقاً (كما سلف القول) ، وما زال به حتى أقنعه بانجاز هذه المهمة التي أوكلت الى زيد بن ثابت وأحسن اتمامها على خير وجه بجمع القرآن في نسخة واحدة ظلت عند أبي بكر حتى وفاته ، ثم انتقلت الى عمر ، فالى ابنته حفصة حتى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي عهد الى زيد بن ثابت مرة أخرى ، ومعه عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام بنسخ الصحف التي كانت بحوزة حفصة . وهكذا تمت على أيدي هؤلاء عملية تدوين القرآن في صورة نهائية ، وفي ست نسخ موحدة .

وكانت الخطوة الثانية في طريق التدوين بعد القرآن تدوين الحديث بصفته المصدر الثاني للعقيدة ، ولأنه يمثل الجانب التطبيقي لها . وفي طبيعة من اشتغل بتدوين الحديث من الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص الذي قال عليه أبو هريرة : « ما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني ، الا ما كان

من عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا أكتب » (٤٩) . ويقول عبد الله بن عمرو نفسه في هذا الامر : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه » (٥٠) . كما يروى عن ابن عباس أنه كان أيضا يدون الأحاديث .

وثمة روايات أخرى كثيرة تدل على كتابة الصحابة للحديث وجمعه في صحف لحفظها ، على أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابته خشية اختلاطه عند بعضهم بالقرآن ، وتكريما لمنزلة القرآن وحده . ولكن بعض الأحكام الشرعية لم تفصل في القرآن الكريم ، فوجد أهل الرأي الحضيف من الصحابة وجهة الاحتكام الى الحديث مخرجا ، وعونا على الوصول الى سلامة القضاء والحكم في الامور الشرعية والفقهية . وعلى يدي محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) في كتابه « الموطأ » بالمدينة ، وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) بالكوفة ، وحمام بن سلمة بن دينار (ت ١٧٦ هـ) في البصرة ، وعبد الرحمن الاوزاعي (ت ١٨٣ هـ بالشام . ثم يلعب في القرن الثالث الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) في مسنده ، والبخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، والنيسابوري (ت ٢٠٤ هـ) في كتابيهما « صحيح الحديث » ، ثم تظهر كتب السنن ، كسنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ) ، وسنن ابي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، وسنن أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ) .

وبمرور الزمن راح التدوين ينمو ويتسع ويشمل أمورا أخرى غير القرآن والحديث ، مثل القصص والايخبار ومغازي الرسول (ص) ، وأخبار الفتوح ، وأنساب العرب . . ولعل أكبر ما دون في هذا المجال يرجع الى عهد معاوية بن أبي سفيان الذي استحضر من اليمن عبيد الله بن شريح الجهمي ، الى دمشق وسأله عن أخبار المتقدمين من ملوك العرب والعجم وغير ذلك مما عن له ، فكان عبيد الله يجيبه عن كل ما سأل عنه . فأمر معاوية أن تدون أخبار عبيد الله في كتاب (٥١) منسوبة الى راويها ، وهذا يعني أن التدوين في غير الاطار الديني الصرف يمكن أن يكون قد بدأ منذ منتصف القرن الاول الهجري (٥٢) .

ومنذ زمن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) بدأ التدوين في التفسير يتسع ويحمل عنوانات على غرار ما صنعه ابن عباس في « غريب القرآن » (٥٣) ، من مثل : مجاز القرآن ، معاني القرآن ، إعراب القرآن ، لغات القرآن ، إعجاز القرآن . . وكل ذلك يرمي الى هدف أساسي هو شرح ما غمض من القرآن الكريم ، وتوضيح أسباب النزول . الى غير ذلك مما يتصل بعلوم القرآن عامة .

ومن التابعين ممن دونوا وصنفوا في التفسير : عروة بن الزبير ، وسعد بن جبير ،

والحسن البصري ، وقتادة وغيرهم . وقد انتهى هذا التفسير المأثور كله عن الصحابة والتابعين الى تفسير « جامع البيان في تفسير القرآن » لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ، وهو تفسير ضخم يقع في ثلاثين جزءا .

ثانياً - المكتبات :

وكما هو منتظر فقد أفضت حركة التدوين المتنامية الى اقتناء الكتب وانشاء الخزائن الخاصة والمكتبات لحفظها ، وكان ذلك منذ زمن الامويين ، فعلى ما تذكر كتب التاريخ - مثلاً - كانت خزائن كتب الوليد بن يزيد - الذي كان مولعاً بالشعر - تضم ما استنسخه من كتب حماد الرواية ، وجناد بن واصل - وكان أعلم الناس بالشعر - الى جانب مصنفات ابن شهاب الزهري على كثرتها (٥٤) ، وغيرها من الكتب حتى ان الوليد بن يزيد هذا حين قتل سنة ١٢٦ هـ حملت هذه الكتب من خزائنه على الدواب (٥٥) .

وكان بحوزة أبي عمرو بن العلاء كتب « ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ، ثم تنسك فأحرقها كلها ، فلما رجع عن تنسكه لم يكن عنده من العلوم الا ما وعاه في قلبه » (٥٦) .

وتذكر في جملة هذا النشاط مكتبة اسحاق بن سليمان العباسي التي كانت تمتلئ بالكتب والاسفاط والرقوق والقماطر والمساطر والمحابر ، على حد قول الجاحظ (٥٧) . ومثلها مكتبة يحيى بن خالد البرمكي (كان عنده من كل كتاب ثلاث نسخ) وربما فاقتها مكتبة الواقي المؤرخ المشهور (ت ٢٠٧ هـ) التي كانت تشتمل على ست مئة صندوق مملوءة بالكتب (٥٨) .

ويذكر صاحب « الاغاني » أن هناك من أنشأ مكتبة تشبه النادي أو ما يسمى بالمركز الثقافي اليوم ، ولعلها الاولى من نوعها في المجتمع العربي الاسلامي ، وذلك في أوائل النصف الثاني من القرن الاول الهجري . يقول الاصفهاني : ان « عبد الحكيم ابن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقرات ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار أوتاداً ، فمن جاء زائراً أو قارئاً علق ثيابه على وتد منها ، ثم جرد دفتراً فقرأه ، أو نهض الى بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم » (٥٩) .

وانشأ بعض الوراقين لهم دكاكين كبيرة ملؤها بالكتب للمتاجرة والاكتراء للقراء ، وثمة أخبار تتحدث عن مكتبة علي بن عيسى النجم . ومكتبة ابنه يحيى بن

علي . . فهذه الاخبار وامثالها تدل على أن عملية التدوين والتصنيف قد بدأت في حياة العرب منذ وقت مبكر ، وترجع ان هذا الوقت المبكر هو ما بعد منتصف القرن الاول الهجري كما سلف القول ، وان هذه العملية « أخذت تنمو وتتطور حتى اكتمل تدوين المعارف العربية الاسلامية في النصف الاول من القرن الثالث الهجري » (١٠) ، أو كاد .

وحركة التدوين المبكرة هذه كانت حافزا قويا على اتساع دائرة الحياة العلمية ورواج الكتب والمخطوطات ، كما كان من ثمارها تفتح القرائح والعقول على ألوان شتى من العلوم والثقافات مما شغل النابهين من أهل المعرفة بالقراءة والكتابة فاكبوا على التحصيل والتأليف وفتوا أنظار الناس واهتمامهم فصاروا موضع اجلال ، ومقصد طلاب العلم ، ومحل اكرام عند ذوي الشأن والسلطان ، وقد قوي هذا التيار العلمي حتى استقل بجانب عظيم من مسؤوليات السلطة الحاكمة وجعل الدولة بمفهومها الديني والاداري تضع في حساباتها مهمة جديدة لم تكن محل التفات من قبل ، الا وهي مهمة رعاية العلم والعلماء ، وهكذا كان الخلفاء والامراء سباقين الى استقدام المؤدبين لتدريس أبنائهم ، وكانوا الساعين الى انشاء المكتبات الضخمة ورصد الاموال لها كجزء من انفاقات الدولة . من ذلك مكتبة « بيت الحكمة » التي أنشأها المأمون ، ومكتبة « البرامكة » التي أنشأها الفضل بن عيسى البرمكي . .

وهكذا تنامي الاهتمام بالكتب حتى أصبح اقتنائها والاكتثار منها رمزا ودليلا على الرفعة والمكانة المرموقة في المجتمع العربي الاسلامي . من ذلك على سبيل المثال ما يروى عن صاحب بن عباد من أنه كان اذا ترحل اصطحب معه أربعين بعيرا محملة كتباً ، على حين أن ما عنده من الكتب كان يحتاج الى أن يحمل على أربع مئة بعير أو أكثر (١١) .

ولقد رقد هذا اللون من النشاط العلمي رافد مهم كان له طابعه الخارجي العام، وأسهمت في تعزيزه سلطة الدولة أيضا ، ونعني به « الترجمة » (١٢) ، ورعاية المترجمين والباحثين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، والتفاضي عن تسرب ألوان من الثقافات المجاورة الى داخل حرم الثقافة العربية الاسلامية ، ان لم نقل اتاحة قدر مقبول من الحرية لها ؛ فكان ذلك كله من دواعي اختبار مقدرة العربية على الاستمرار واستيعاب المعطيات الحضارية المغايرة لما عرفتة من قبل ، كما كان برهانا على مرونتها وقابليتها لأخذ مكانها ودورها في الحضارة البشرية ، ودافعا لها على التجدد والنماء والاغتناء .

وكانت العربية في كل خطوة في هذا المضمار تزدد مناعة ومَنعة ، وتبدي

استعدادا واضحا لتقبل مظاهر التغير وضمها والتعبير عنها في ميادين العلم والفن وسائر أشكال التحضر والرقى العقلي ، من غير تعثر أو تلكؤ ، أو تخل عن الاصاله وعناصر الابداع .

استثناساً بهذه الصورة العامة نستطيع القول ان اللغة العربية أسهمت كعامل الديني والسياسي (الفتوحات بوجه خاص) ، في صنع الحضارة الاسلامية اسهاماً عظيماً ، بل كانت الاداة الاساسية في انجاح ذلك . . ولكن ، ما الذي ساعد اللغة العربية على أن تنهض بمثل هذه المهمة الجسيمة ؟!

القضية من المنظور التاريخي متداخلة يظهر بعضها بعضاً ، فالحاجة أم الاختراع كما يقال ، ولقد كانت الحاجة تقتضي الاستعانة باللغة مشافهة وكتابة لنشر الدين الاسلامي ، ولتدوين هذا التراث الثمين ، وللتفاهم مع الاقوام الداخلين في الاسلام ، أو في دائرة السلطة السياسية ، ولصياغة نظم الحياة الاجتماعية والادارية في المجتمع العربي والديار الاسلامية بمن فيها وما فيها ، كما أن اللغة نفسها - من هذا المنطلق - استدعت من واقع الحال أن تسعى الجهات المعنية الى توفير متطلبات الافادة منها ، أي فرضت على هذه المرحلة المبكرة مسؤولية تهيئة وسائل للتدوين والتنظيم والتعليم بما يماشى حركة التطور وسرعتها المتنامية ، ويمثل اعدادا لانجاز خطة عامة متكاملة في تلك المجالات . . ومن هنا نشأ التفكير بصناعة أدوات الكتابة والوراقة .



الحواشي والاحالات :

- (١) تاريخ الطبري : ٢٧/٢ (ط. مصر) ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ١٦٢ (دار المعارف بمصر) ١٩٦٥ .
- (٢) قال ابن السيد البطليوسي : « .. وأما أول من طبع الكتب فعمرو بن هند ، وكان سبب ذلك أنه كتب كتابا للمتلمس فدفعه الشاعر الى عامله بالبحرين يوهمه فيه بجائزة ، وأمره فيه بضرب عنقه فاستراب به المتلمس ، فدفعه الى من قرأه عليه ، فلما قرى عليه رمى بالكتاب في النهر ، وفر » ، وفي ذلك يقول :
- والقيتها بالثني من جنب كافر
كذلك أجزي كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها
يجول بها التيار في كل محفل
- (٩) والقط هنا: الصك ، وجمعه قطاظ وقطوط . وانظر : « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » : ١٠٤ (دار الجيل . بيروت ١٩٧٣) . وفي كتاب « الحلل في شرح أبيات الجمل » لابن السيد البطليوسي نفسه (ط. السدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٧٩) تحقيق د. مصطفى امام يرد الخبر ص ٩١ مع بعض اختلاف . وانظر أمالي المرتضى : ١٨٤/١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، (ط : الاولى ، القاهرة ١٩٥٤) ، والخزانة للبغدادي ٤٤٦/١ ، والاغاني ١٢٥/٢ - ١٢٦ .
- (٣) مختارات ابن الشجري ، ج ١/١ . والنقاد : صفار الغنم .
- (٤) انظر : الاغاني ١٢/١٦ (ط. دار الكتب) و ٢٤/٢٠ (ط. الساسي) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١٨٠/١ (ط. دار المعارف) ، شرح المملكات السبع للزوزني : ٢٢٣ (ط. دار القاموس الحديث - بيروت) .
- (٥) المفضليات للمفضل الضبي : ١٣٢ تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون (ط. دار المعارف) . وعن المهارق انظر : الاقتضاب للبطليوسي : ٩٣ .
- (٦) هو باليونانية (خارتس) وثالث قافه ، وانظر مثلا : المعجم الوسيط / قرطس .
- (٧) ديوان طرفة بن العبد : ٢٧ (المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت) ، ومختارات الشعر الجاهلي : ٣١٢/١ . شرح وتحقيق مصطفى السقا (ط ٤ . البابي الحلبي - القاهرة) .
- (٨) انظر : المعجم الوسيط / قرطس ، والقرط : شجر عظام لها سوق ، من الفصيلة القرنية ، وهي نوع من السفط العربي يستخرج منه صمغ مشهور .
- (٩) ويروي البيت : (... كخط الزبور في العيسب اليماني) وانظر الديوان : ٨٥ : تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم (دار المعارف بمصر ١٩٥٨) ، وصنعة الاعلم الشنتمري ص : ٢٠١ بتصحيح الشيخ ابن أبي شنب (ط . الجزائر) .
- (١٠) جمهرة أشعار العرب لابي زيد القرشي : ٨٤٣ ، تحقيق محمد علي البجاوي (ط . القاهرة) .
- (١١) ديوان الهذليين - القسم الاول : ٦٤ (مصورة عن طبعة دار الكتب - القاهرة ١٩٦٥) . وقال أبو ذؤيب نفسه وذكر الرقم : برقم ووشم كما تمنمت
بميشمها المزداهة الهدى
- وانظر الاقتضاب لابن السيد البطليوسي : ٩٤ (مرجع سابق) .
- (١٢) ديوانه : ٨٩ وما بعدها . والاقتضاب : ٩٢ ، والزبور هنا : الكتاب (عن ابن قتيبة) .
- (١٣) شرح ديوان لبيد : ١٣٨ تحقيق د. احسان عباس (الكويت ١٩٦٢) .

- (١٤) نفسه : ٢٩٩ . ومثله ذكر المرقش الاكبر القلم
(والترقيش) في قوله :
- الدار قصر والرسوم كما
رقش في ظهر الاديـم قلم
- ولعله بهذا سمي المرقش ، والاديس هنا :
الجلد يكتب عليه . والقلم معرب .
- (١٥) الفضليات : ٨٩ .
- (١٦) الحلل في شرح أبيات الجمل : ٣٤٩ (م . س) .
- (١٧) ديوانه : ١٢٩ حققه وقدم له صلاح الدين
الهادي (ط . دار المعارف بمصر ١٩٦٨) .
- (١٨) الشعر والشعراء : ١٨٠/١ ، والاغاني
٢٤/٢٠ (ط . الساسي) ، والفضليات : ٣٤٤
- (١٩) ديوانه : ٧٩ (دار صادر) ، بيروت (١٩٦٣) .
- (٢٠) غلى : ماء قرب المدينة . والقصيدة في
الفضليات : ٣٥٧ - ٣٥٨ .
- (٢١) ديوان النافذة (ط . بيروت ١٩٦٠) والمجلة
صحيفة كانوا يكتبون بها الحكمة . وانظر
البيت في « مبادئ اللغة » للاسكافي : ٩٠
(ط . القاهرة ١٣٢٥ هـ) . وفي « الصاحبى
في فقه اللغة » لابن فارس : ١٥٤ « غير
العواقب » بدلا من : خير العواقب .
- (٢٢) الفضليات : ٢٨١ .
- (٢٣) الفضليات : ٢٣٧ .
- (٢٤) ديوانه : ٦٠ (ط . بيروت ١٩٣٤) المكتبة
الاهلية . ويقول شتيم بن خويلد الفزاري :
تسمع أصوات كلدي الفراخ به
مثل الاعاجم تغشى المهرق القلما
- وانظر « مصادر الشعر الجاهلي » : ٥١
(ط ٣ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦) .
- (٢٥) وفيه يقول الشاعر :
- وبيت على ظهر المظي بنيته
بأسمر مشقوق الخياشم يعرف
- وانظر : الاغاني ٢٧/٦ ، وانظر ١٦/١٣٠ حول
ما كتبه المرقش الاكبر على رحله .
- (٢٦) ديوانه : ٦٨ وما بعدها (ط . دار صادر -
بيروت) . وانظر : الاقتضاب لابن السيد
البطليوسي : ٩٣ .
- (٢٧) الفضليات : ٢٠٤ .
- (٢٨) وذكر التميمي في شعر سلامة بن جندل حيث
قال :
- لم تطل مثل الكتاب المنق
خلا عهده بين الصليب فمطرق
- وانظر الاصمعيات : ١٣٢ للاصمعي ، بتحقيق
أحمد محمد شاكر ، و عبد السلام هارون
(ط ٣ ، دار المعارف بمصر) ، والاصمعيات :
٢١٣ .
- (٢٩) ومن ذكر « الدواة » عبد الله بن منة
الضبي حيث قال :
- فلما رأيت الدار قفرا سألتها
فمي علينا نؤيها ورمادها
- فلم يسبق الا دمنة ومنازل
كما رد في خط الدواة مدادها
- وانظر : الفضليات : ٣٧٩ ، والاصمعيات
٢٢٦ .
- (٣٠) الصفاح : حجارة رقيقة عريضة .
- (٣١) اللخاف : حجارة عريضة بيضاء .
- (٣٢) الاقتاب : مفردا قتب ، وهو الاكاف الصغير
على قدر سنم البعير .
- (٣٣) مصادر الشعر الجاهلي : ٢٣ .
- (٣٤) السيرة النبوية ٦٨/٢ .

وسطور الكتابة ثلاث مرات ، والكتاب ٢٦١ مرة ، والكتاب مرتين ، والقلم ثلاث مرات ، والصحف ثمان مرات : والرق الذي يكتب عليه مرة واحدة ، والالواح أربع مرات . وانظر الايات والسور : الفرقان : ٥ ، النور : ٢٣ ، البقرة : ٢٨١ - ٢٨٣ ، القلم : ١ ، العلق : ٤ ، الطور : ٣ ، النجم : ٣٦ ، عبس : ١٣ ، التكوير : ١٠ ، الأعلى : ١٨ - ١٩ ، المذثر : ٥٢ ، البينة : ٢ ، الاعراف : ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، البروج : ٢٢ .

(٤٩) فتح الباري : ١٨٤/١ - ١٨٥ ، وسنن الدارمي : ١٢٥/١ .

(٥٠) الموضع السابق : ١٨٥/١ ، ١٢٥/١ ، ومسند أحمد بن حنبل ٢١/١٠ .

(٥١) الفهرست لابن النديم : ١٣٨ ، ومروج الذهب للمسعودي : ٢٢٢/٣ (ط. بيروت)

(٥٢) ينظر الفهرست : ٦٦-٦٧ ، ونشير هنا الى ان بعض الروايات تقول ان كعب الاحبار (ت ٣٤ هـ) ترك كتابا في تاريخ الاسكندر ، وعروة بن الزبير (٢٢-٩٢ هـ) كان له فضل عناية بالتاريخ ولعله أول من صنف المغازي وأحرق يوم الحرة سنة ٦٣ هـ كتب فقهه كان ألفها ثم حزن عليها اشد الحزن ، وان وهب بن منبه قد صنف كتابا في تاريخ المتوجين من ملوك حمير ، وان خالد بن يزيد بن معاوية كتب أكثر من كتاب في الكيمياء والعلوم .

(٥٣) ويقول محمد ابو الفضل ابراهيم في مقدمة كتاب « الغربيين » ص ٥ انه أورد قدرا كبيرا منه ، وفي « المعجم العربي » : ٣٩/١ يسميها د. حسين نصار « مقتبسات » نقلها السيوطي في الاتقان .. وكتب في هذا الموضوع « غريب القرآن » جملة من اقدماء منها : ابو سعيد ابان بن تغلب البكري (ت ١٤١ هـ) ، محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) ، أبو فيد المؤرج السدوسي (ت ١٧٤) ، علي

(٣٥) انظر : نهاية الارب للنويري ٢٤٨/١٦ . ويذكر من ذلك أنه لما جاء عمر بن الخطاب ليبطش بأخته فاطمة وبزوجها لانهما كانا أسلما وجد عندهما خباب بن الارت يقرئهما القرآن الكريم في صحيفة مكتوبة ، وذلك قبل الهجرة بنحو سبع سنوات . وانظر : تاريخ ابن الاثير ٣٤/٢ . وقد ذكر المسعودي في « التنبيه والاشراف » أن زيد بن ثابت كان يكتب الى الملوك ، ويجب بحضرة النبي (ص) ، وكان يترجم له بالفارسية والرومية والقبطية والحشية ، وكان تعلم ذلك بالمدينة من أهل اللسن . ولا تفوتنا الاشارة الى أسرى معركة « بدر » الذين كان فداء كل واحد منهم تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة . ولا صلح « الحديبية » المكتوب .. وانظر : « طبقات ابن سعد ١/٢ : ١٤ » .

(٣٦) فتوح البلدان للبلاذري : ٨٠ ، عني بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣ .

(٣٧) فتوح البلدان : ٨١ .

(٣٨) نفسه ٨٢ .

(٣٩) نفسه ٧٢ .

(٤٠) نفسه ٩٠ .

(٤١) نفسه ٦٧ .

(٤٢) فتوح البلدان : ٨٩ .

(٤٣) سورة الطور : ٣/٥١ .

(٤٤) سورة القلم : ١/٦٨ .

(٤٥) سورة العلق : ٥٤، ٣/٩٦ .

(٤٦) سورة الاسراء : ٩٣/١٧ .

(٤٧) سورة البقرة : ٢٨٢/٢ .

(٤٨) سورة البقرة : ٢٨٢/٢ - ٢٨٣ . ويرد ذكر الكتابة في القرآن الكريم : ٥١ مرة ،

- (٦٠) انظر « المصادر الادبية واللغوية » للدكتور عز الدين اسماعيل : ٢١ ، والفهرست : ٦٦ - ٦٧ ، حيث يرسم ابن النديم صورة تفصيلية لما آل اليه امر المكتبات بعد هذا فيقول على مكتبة صاحب له هو محمد بن الحسين (زمن بني حمدان) : « اخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثمئة رطل من جلود وصكاك وقراطيس وورق صيني وورق تهمي وجلود ادم فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والاخبار والحكايات والاسماء والانساب ، ولكنها كانت خلقة .. وكان على كل ورقة مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدا اثر واحد ثم يقول : ورأيت في جملتها مصحفا بخط خالد بن ابي الهياج وصاحب علي ، ورأيت فيها بخط الامامين الحسن والحسين ، ورأيت عنده امانات وعهودا بخط أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن خطوط علماء النحو واللغة أمثال أبي عمرو بن العلاء ، وأبي عمرو الشيباني » .
- (٦١) معجم الادباء : ٢٥٩/٦ .
- (٦٢) سيجيء الحديث عن الترجمة بشيء من التفصيل .

بن حمزة الكسائي (ت ١٨٢ هـ) ، محمد بن المبارك البزدي (ت ٢٠٢ هـ) ، النضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) ، قطرب - محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هـ) . الخ .

(٥٤) يقال ان ابن شهاب الزهري كان يجلس في بيته ويحيط نفسه بالكتب يضعها حوله ، وكان يطوف في البلدان ومعه ألواح وصحف يكتب عليها كل ما يسمع ، وكان حجة في السنة والحديث حتى ان عمر بن عبد العزيز قال في شأنه : عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون احدا أعلم بالسنة الماضية منه . ولقد شغل الزهري بكتبه عما سواها ، حتى عن أهل بيته ، ولهذا قالت له امرأته ذات يوم : والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر . « الفهرست : ١٣٤ ، والبيان والتبيين : ٢٩٠/٢ » .

(٥٥) الطبقات الكبرى ١٣٦/٢ .

(٥٦) الاغانى ٥٢/٤ ، وفيات الاعيان ١٧٧/٤ - ١٧٨ ، البيان والتبيين ٣٢١/١ .

(٥٧) الحيوان : ٦١/١ .

(٥٨) معجم الادباء : ٢٨١/١٨ .

(٥٩) وفيات الاعيان : ٤٦٦/٣ .



